هوامش

عادت مظاهر الحياة إلى المقاهي الشعبية في الجزائر خلال شهر رمضان، على عكس السنة الماضية التي حرموا فيها من فضائهم المفضل بسبب فرض الإغلاق لمكافحة تفشي فيروس كورونا

المقاهي الشعبية متنفس الجزائريين في ليالي رمضان (فاروق بطيشة/فرانس برس)

سهرات الجزائريين الرمضانية

مسامرات وورق ودومينو في المقاهي الشعبية

الجزائر ـ **كمال بوحدة**

لطالما شكلت المقاهي الشعبية مقصد الجزائريين الأول لقضاء سهرات رمضان، إذ يتوجه الكثير منهم إليها بشكل شبه يومي لاحتساء القهوة، ولقاء الأصدقاء لتبادل أطراف الحديث حول مختلف القضايا والمواضيع. فالمقاهي تستقبل مختلف الفئات، من الشباب إلى الكهول، لتعويض الفراق المؤقت الذي يعيشونه نهاراً لأسباب منها الاعتكاف، أو قراءة القرآن، أو التزام البيوت بسبب الصيام، على عكس باقي شهور السنة. وتشجع الأجواء الليلية، والطقس المعتدل، والشوارع المزينة بالأنوار على كثافة الحركة بعد الإفطار في غالبية المدن الجزائرية، ويتوجه كثيرون بعد صلاة التراويح مباشرة إلى المقاهي الشعبية المنتشرة، والتي تظل مفتوحة حتى ساعات متأخرة من الليل.

يقول الثلاثيني رشيد شيكر، إنه مولع باحتساء القهوة، ويسارع إلى الذهاب إلى المقهى القريب من منزله، للحصول على فنجان قهوة بعد الصيام، مشيراً إلى أنه في ظل تهافت الجيران والوافدين إلى المقهى، يصبح الحصول على مقعد من الأمور الصعبة في بعض الأحيان. يشير إلى أنه كان في السابق يبقى في البيت بعد الإفطار لفترة أطول، وحين يذهب إلى المقهى يجد كل المقاعد محجوزة، ما جعله يقرر الخروج مباشرة بعد الإفطار للظفر بمكان، وتمضية وقت ممتع مع الأصدقاء.

في وسط مدينة حمر العين قرب العاصمة الجزائر، يتواجد مقهى شعبي قديم شاهد على مختلف المراحل التي مرت بها البلاد. أنشئ المقهى في سنوات الاستعمار الفرنسي، وهو يعرف في شهر رمضان توافداً كبيراً من مختلف الأحياء والتجمعات السكانية المحيطة بالمدينة، إذ كان في السابق مقراً لتجمع المجاهدين بعد الاستقلال، وكانوا يلتقون فيه لتذكر قصص الكفاح والنضال، ما جعله يستقطب فئات من المثقفين والفلاحين والطلاب والرياضيين. يقول محمد موتشو، مالك المقهى، إن «شغف الجزائريين بالمقاهي كبير، فبغض النظر عن الغالبية الذين يقصدونها بعد الإفطار، إلا أن كثيرين أيضاً يمرّون فيها لأخذ قهوتهم قبل أذان المغرب، من أجل احتسائها في البيت بعد الإفطار مباشرة، ما دفعني إلى توظيف عمال إضافيين للتكفل بالطلبات المتضاعفة على القهوة وبعض المشروبات الأخرى في شهر رمضان».

ويعتبر عمار شرايفي، وهو صاحب مقهى بمنطقة تيبازة، أن «رمضان هذا العام يعد منة من الله بعد تراجع انتشار كورونا، ورفض تمديد الحظر الصحي». يقول لـ«العربي الجديد»: «العام الماضي كان عاماً أسود علينا بسبب توقف النشاط، وخصوصا خلال شهر رمضان، وكنا نضطر لبيع القهوة بشكل سري، وكان زبائننا يقصدوننا يومياً لأخذ القهوة رغم الإجراءات الصارمة المفروضة، لكن تعلق الناس بالقهوة والمقاهي كان أقوى».

يختلف نمط عمل المقاهي خلال رمضان في الجزائر، فبعضها يوفر إلى جانب المشروبات، والسمر، فرصة للتسلية بالألعاب المختلفة ومنها «الدومينو»، وألعاب الورق. كما أصبحت بديلاً للفضاءات الاجتماعية المغلقة، ومكاناً يستقطب الهاربين من ضيق الحياة اليومية، والباحثين عن السمر والسهر رفقة الأصدقاء، وتمتد الجلسات في بعض المقاهي حتى وقت متأخر من الليل.

ويبرز في رمضان خصوصاً نوع مختلف من المقاهي، عبارة عن خيام فنية وثقافية، إذ يغتنم البعض الشهر لإنشاء تلك الخيام الرمضانية التي تتميز بالديكور التقليدي الذي يضفي مزيداً من الجمال ويستقطب المزيد من الزبائن، ويتم تنظيم جلسات فنية داخل تلك الخيام، تؤديها فرق متخصصة في الفنون الشعبية لإمتاع الحضور، وتستمر أنشطتها أحياناً حتى مطلع الفجر. في سياق متصل، لا يجد سكان القرى والبلدات الريفية الصغيرة سوى ما يعرف محليا بـ«المحشاشات»، وهي مقاه صغيرة يتم إنشاؤها خلال رمضان، أو في فصل الصيف، وهي تستقطب عادة الأشخاص الذين يعشقون لعب الدومينو والورق. حصل سليم على شهادة في الهندسة المدنية، لكنه بادر إلى فتح مقهى من القصب في قريته «اتفساسين» الواقعة بين محافظتي عين الدفلى وتيبازة. يقول إن المقهى ساهم في انتشاله من البطالة من جهة، وخلق فضاء للقاء الأصدقاء والجيران وسكان التجمعات المتناثرة في الجبال الواقعة بالمنطقة من جهة ثانية.

يقول سليم لـ«العربي الجديد» إن الظروف الصعبة التي عاشها منذ تخرجه دفعته إلى إنشاء المقهى، واستغلال ألعاب الدومينو والورق لإتاحة الفرصة للقاء مع احتساء القهوة، مؤكداً على شعبية هذه الألعاب خلال تمضية الوقت في سهرات رمضان. ويلفت إلى أنه في المناطق المعزولة مثل المنطقة التي يعيش فيها، تتوقف حياة الليل والسهر تقريباً طوال شهور السنة، لكنها تعود في شهر رمضان.

باختصار

تحولت المقاهي الشعبية إلى بديل عن الفضاءات الاجتماعية المغلقة بسبب قيود جائحة كورونا

■■■

تستقطب المقاهي فئات مختلفة من الزبائن غالبيتهم من الشباب الباحثين عن السمر والسهر مع الأصدقاء

■■■

تمتد بعض الجلسات في المقاهي الجزائرية خلال ليالي شهر رمضان حتى ساعات الصباح الأولى

وأخيراً

كل هذه الرداءة

رشا عمران

منذ زمن طويل، لم أتابع مسلسلات في شهر رمضان المبارك، لا مصرية ولا سورية ولا عربية مشتركة. عوّضتني منصة نتفليكس عن شهوة الدراما، أو بالحقيقة أتاحت لنا جميعا، أقصد من تستهويه الشاشتان، الكبيرة والصغيرة، ملاحظة الفرق الهائل بين الإنتاجين، الغربي والعربي، ليس فقط في السينما، وإنما أيضا في المسلسلات ذات المواسم المتعدّدة، إذ نحن أمام عالم آخر في الإخراج والسيناريو ودقة التوثيق (في المسلسلات المنتجة عن مراحل زمنية سابقة)، وطبعا التصوير والموسيقى. أما الفرق بين الأداء التمثيلي بيننا وبينهم فهو من النوافل. ولكي لا نظلم ما لدينا كثيرا، فإن الشرط الرئيس لإنتاج عمل درامي نوعي ليس متوفرا للأسف في بلادنا، أقصد الحرية، حيث لا رقيب لا سياسي ولا ديني ولا أخلاقي على ما ينتج. لا سلطة سياسية تسيطر على شركات الإنتاج وتستخدمها لترويج ما تريده، أو لتبييض تاريخها. ولا سلطة اقتصادية تريد التقرّب من السلطة السياسية فتنتج ما يرضيها. أما موضوع الحريات الفردية فقد أصبح شأنا لم يعد مجال نقاش في العالم الغربي، بينما لا نزال نحن نتعارك حول البدهيات في الحقوق الفردية والعامة (سبب ما نحن فيه من الخراب المطالبة بجزء يسير من الحريات العامة والخاصة). ومع ذلك، لا يمكن لمن يتابع منصة نتفليكس أن يغفل عن المحتوى السياسي في بعض إنتاجها، ذلك المحتوى الذي يروج لدولة إسرائيل (القوية والمتحضّرة وسط محيط متخلف وبائس)، بتجاهل متعمد ومقصود للأسباب التي جعلت من هذا المحيط متخلفا وبائسا، وأولها وجود دولة محتلة عنصرية ودينية ومجرمة كإسرائيل وسط هذا المحيط. وبالتالي ارتباط وجود الأنظمة السياسية (العسكرية والأمنية) التي فتكت وتفتك بشعوبها بوجود هذا الكيان المحتل.

خطرلي هذه السنة متابعة بعض المسلسلات على منصّة عربية تعرضها من دون إعلانات. ووسط العدد الكبير من الإنتاجات الدرامية العربية لهذا العام، لم أستطع متابعة أكثر من ثلاثة مسلسلات، «الطاووس» و«لعبة نيوتن» و«نجيب زاهي زركش»، وهذا أضعف الثلاثة، لكنه خفيف وغير متعب للأعصاب، عدا عن أن يحيى الفخراني ما زال يتمتع بقدراته التمثيلية العالية، على الرغم من تقدمه في السن. وقرأت مقالات تشيد بمسلسل «بين السما والأرض»، المتميز على الأقل بعدم الإطالة، 15 حلقة، لكنني أجّلت مشاهدته إلى ما بعد رمضان.

لفتني في بعض المسلسلات التي حاولت متابعتها وتوقفت الكم المهول من الإسفاف، ومن ترويج قيم البلطجة والنصب والفهلوة، أو تزوير الحقائق التاريخية، ولأحداث ما زالت تحدث، لصالح الأنظمة الحاكمة، أو الانفصال عن الواقع الاجتماعي والسياسي العربي الحالي، حيث تدور معظم المسلسلات في مجتمعاتٍ لا تمثل سوى شريحة صغيرة جدا من المجتمعات العربية، فيلات وقصور فاخرة، أحدث أنواع السيارات، مجوهرات وملابس «سينيية»، أموال تُصرف من دون حساب، أماكن سياحية يقتصر مريدوها على طبقة محددة، ما يعيد إلى الأذهان سؤال القذافي الشهير: من أنتم؟

يمر العالم العربي منذ العقد الماضي في أسوأ مراحله، على كل المستويات: نسبة فقر لا سابق لها، انهيار اقتصادي كامل في بلدان كثيرة، لجوء وتشرّد وموت، أطفال شوارع وتسول غير مسبوقين، تسرّب ملايين الأطفال من التعليم، سجون ومعتقلات تمتلئ بالمعتقلين السياسيين ومعتقلي الرأي الذين لا يعرف أحد عنهم شيئا، دول فاشلة وأنظمة مجرمة وفاسدة، تحالف كارثي بين السلطة السياسية والمالية المتمثلة برجال الأعمال الذين أثروا من الفساد الطويل، تحالف مشابه مع المؤسسة الدينية التي تقاوم بشراسة أي محاولة للتغيير السياسي والإجتماعي، حتى المؤسسات الدينية التي تدّعي معارضتها الأنظمة الحاكمة، فهي ليست سوى نسخة أخرى عنها، هزائم على كل المستويات، وفشل في كل شيء، عام وفردي وخاص، نسبة انتحارات مهولة بين الشباب العرب، إدمان على المخدّرات، اضطرابات نفسية مرعبة تحكي عنها إحصائيات المنظمات الدولية المعنية، عدا عن الأمراض الفيزيولوجية ذات المنشأ النفسي، طبعا عدا عن الكارثة الكبرى المتمثلة في كذب الحكومات فيما يخص «كوفيد – 19». أما ما ينتظر بلادنا من الجفاف. بسبب احتكار دول في الإقليم مياه الأنهار الكبرى، فليس سوى تفصيل صغير عن الفشل المريع للأنظمة العربية الحاكمة التي تهرول لإظهار مزيد من الذل أمام إسرائيل تحت اسم التطبيع. تشبه الدراما العربية الحالية في رداءتها الأوضاع التي تتسبب بها الأنظمة الحاكمة، ولطالما كانت هكذا بالمناسبة. ثمة ارتباط وثيق بين الأنظمة وشركات الإنتاج الدرامية، القليل النافذ من هذه الرداءة ليس سوى إثبات لقاعدة تتكرّس عاما وراء آخر.

> تشبه الدراما العربية الحالية في رداءتها الأوضاع التي تتسبب بها الأنظمة الحاكمة

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالا**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**